**المحاضرة السادسة: الفيلسوف أبو حامد الغزالي**

**أولا: من هو الفيلسوف أبو حامد الغزالي؟**

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد [الغزالي](https://mawdoo3.com/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%AD%D8%A7%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84%D9%8A)، ولد عام 450هـ الموافق لــ 1058م في طوس، ويُكنّى بأبي حامد لولد له مات صغيراً. ويُعرَف بـ "الغزّالي" نسبة إلى صناعة الغزل، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة، ويُنسب أيضاً إلى "الغَزَالي" نسبة إلى بلدة غزالة وهي قرية في طوس. وقد كانت أسرته فقيرة الحال، إذ كان أباه يعمل في غزل الصوف وبيعه في طوس، ولم يكن له أبناء غيرَ أبي حامد، وأخيه أحمد والذي كان يصغره سنّاً. قدم الغزالي نيسابور، وهي عاصمة السَّلجوقيين ومدينة العلم بعد بغداد، ولازم إمام الحرمين الجويني أحد كبار فقهاء الشافعية، ومجدد المذهب الأشعري مضموناً ومنهجاً.

بعد وفاة شيخه وأستاذه الجويني خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة في مجلسه وقهر الخصوم، فاعترفوا بفضله وتلقاه الصاحب بالتعظيم، وولّاه تدريس مدرسته ببغداد، ودرس بالنظامية فأعجب الخلقَ علمُه وكماله وفضله.

وشعر أن تدريسه في النظامية مليء بحب الشهرة والعُجُب والمفاسد. عند ذلك عقد العزم على الخروج من بغداد متوجها الى دمشق, فأقام بها أياماً، ومن ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع، وبها كانت إقامته، فقام بالشام مدة سنتين تقريبا، وما لبث أن سافر إلى مكة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى بغداد، بعد أن قضى إحدى عشرة سنة في رحلته، وقد استقر أمره على الصوفية.

ولم يدم طويلاً حتى أكمل رحلته إلى نيسابور ومن ثمّ إلى بلده طوس، وهناك لم يلبث أن استجاب إلى رأي الوزير فخْر المُلك للتدريس في نظامية نيسابور مكرهاً، فدرّس فيها مدة قليلة، وما لبث أن قُتل فخر الملك على يد الباطنية، فرحل الغزالي مرة أخرى إلى بلده طابران في طوس، وسكن فيها، متخذاً بجوار بيته مدرسة للفقهاء تدعى (الخانقاه) أنشأها ليدرس بها العلوم الدينية، ومكان للتعبّد والعزلة للصوفية

 بعد أن عاد الغزّالي إلى طوس، لبث فيها بضع سنين، وفي أواخر أيامه وزّع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة الصوفية والتدريس لطلبة العلم وإدامة الصلاة والصيام وسائر العِبَادات بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة. وما لبث أن تُوفي عام 505 هـ الموافق لـــ 1111م، في الطابران في مدينة طوس عن عمر بلغ خمسا وخمسين عاما.

**ثانيا: مؤلفاته**

كثرت تأليفات الغزّالي خلال مدة حياته البالغة خمس وخمسين سنة في مختلف صنوف العلم، حتى قيل إن تصانيفه لو وزعت على أيام عمره أصاب كل يوم كتاب وبسبب شهرة الغزالي وتصانيفه، نُسبت إليه الكثير من الكتب والرسائل، وأصبح من الصعب تحديد صحة نسبتها إليه. وقد ترك تراثا صوفيا وفقهيا وفلسفيا كبيرا، بلغ 457 مصنفا ما بين كتاب ورسالة، كثير منها لا يزال مخطوطا، ومعظمها مفقود، ومن أبرز كتبه: (إحياء علوم الدين) في أربع مجلدات، (تهافت الفلاسفة)، (مقاصد الفلاسفة) ، (المنقذ من الضلال) ، (الاقتصاد في الاعتقاد)، (معارج القدس في أحوال النفس)، (أيها الولد)، (إلجام العوام عن علم الكلام)، (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة)

**ثالثا: تهافت الفلاسفة من منظور أبو حامد الغزالي**

اعتبر البعض كتاب: (تهافت الفلاسفة) ضربة لما وصفه البعض باستكبار الفلاسفة وادعائهم التوصل إلى [الحقيقة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%A9) في المسائل الغيبية [بعقولهم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%82%D9%84)، أعلن الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة فشل الفلسفة في إيجاد جواب [لطبيعة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D8%A9) الخالق وصرح أنه يجب أن تبقى مواضيع اهتمامات [الفلسفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) في المسائل القابلة [للقياس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%B3) والملاحظة مثل [الطب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8) [والرياضيات](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%A7%D8%AA) [والفلك](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D9%83) واعتبر الغزالي محاولة الفلاسفة في إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم [الفلسفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) أساسا.

لخص الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة إلى [فكرة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%83%D8%B1%D8%A9) أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرئي من [الإنسان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86) لفهم طبيعة الجزء المعنوي وعليه فإن الوسيلة المثلى لفهم الجانب [الروحي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%AD) يجب أن تتم بوسائل غير [فيزيائية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%A1).

كان الغزالي أول [الفلاسفة المسلمين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9) الذين أقاموا صلحا بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساسيات [المنطق](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82) اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات [الميتافيزيقية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AA%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D9%82%D8%A7) اليونانية. توسع الغزالي في هذا الكتاب في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول [الفقه](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%82%D9%87_%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A)، لكنه شن هجوما عنيفا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين [المشائين](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%86&action=edit&redlink=1) الذين تبنوا [الفلسفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) اليونانية. اعتبر الغزالي محاولة الفلاسفة في إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم الفلسفة من الأساس. رد عليه لاحقا [ابن رشد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B1%D8%B4%D8%AF) في كتابه [تهافت التهافت](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%81%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%81%D8%AA).

وبقول الغزالي في بداية الكتاب: " ابتدأت لتحرير هذا الكتاب، ردًا على الفلاسفة القدماء، مبينًا تهافت عقيدتهم، وتناقض كلمتهم، فيما يتعلق بالإلهيات، وكاشفًا عن غوائل مذهبهم، وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء، وعبرة عند الأذكياء. أعني: ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء، من فنون العقائد والآراء".

|  |  |
| --- | --- |
|  | وقد خالف الغزالي الفلاسفة في عشرين مسألة تدور ستة عشر منها حول الإلهيات التي تبحث في الغيبيات مثل قدم العالم وحدوثه، مسألة الخلود، ذات الله تعالى وصفاته ونفي الشريك عنه، الصانع أم الدهر، العلم بالجزئيات والكليات، أما الأربع مسائل الأخرى فإنها تدور حول الطبيعيات، مثل جوهرية النفس واستقلالها عن البدن وخلودها، وحشر الأجساد.  وحكم الغزالي على الفلاسفة بالكفر في ثلاثة مسائل وهي قولهم: قدم العالم " قضية القدم والحدوث" ، أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، إنكار حشر الأجساد في الآخرة والاكتفاء ببعث الأرواح فقط. ويرى الغزالي أن هذه المسائل لا تلائم الإسلام مطلقا، ومن يعتقد في هذه الآراء فإنه يُعدّ مكذبا للأنبياء ويكون بذلك خارجا عن العقيدة الإسلامية. وقد حكم بالبدعة في السبع عشرة مسألة الأخرى. |

**ثالثا: التصوف في فكر أبو حامد الغزالي**

قبل أن يستقر أمر الغزالي على [التصوف](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81)، مرّ بمراحل كثيرة في حياته الفكرية، كما يرويها هو نفسه في كتابه : ([المنقذ من الضلال](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%82%D8%B0_%D9%85%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%84%D8%A7%D9%84) )، فابتدأ بمرحلة الشكّ بشكل لا إرادي، والتي شكّ من خلالها في الحواس والعقل وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقيني، ودخل في مرحلة من السفسطة غير المنطقية حتى شُفي منها بعد مدة شهرين تقريباً. ليتفرّغ بعدها لدراسة الأفكار والمعتقدات السائدة في وقته، يقول: ( ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جوده، أحضرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: [المتكلمون](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85): وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر. [والباطنية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A9): وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم. [والفلاسفة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9): وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان. [والصوفية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9): وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة)، ويتابع ويقول: ( فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً بعلم الكلام، ومثنياً بطريق الفلسفة، ومثلثاً بتعلّم الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية)  فعكف على دراسة [علم الكلام](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85) حتى أتقنه وصار أحد كبار علمائهم، وصنف فيه عدة كتب التي أصبحت مرجعاً في علم الكلام فيما بعد مثل كتاب: ([الاقتصاد في الاعتقاد](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%AF_(%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8)))، إلا أنه لم يجد ضالته المنشودة في علم الكلام، ورآه غير واف بمقصوده، يقول عن نفسه: «فلم يكن الكلام (أي علم الكلام) في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيًا). بعد ذلك توجّه لعلم [الفلسفة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) ودرسها وفهمها، ثم نقدها بشدة في كتابه: ([تهافت الفلاسفة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%81%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A9)). ثم درس بعدها [الباطنية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A9) فردّ عليهم وهاجمهم. ليستقر أمره على [علم التصوف](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9).

بعد تلك المراحل بدأ اهتمام الغزالي يتّجه نحو علوم [التصوف](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81)، فابتدأ بمطالعة كتبهم مثل: [قوت القلوب](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%88%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%84%D9%88%D8%A8) [لأبي طالب المكي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D9%8A)، وكتب [الحارث المحاسبي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D9%8A)، والمتفرقات المأثورة عن [الجنيد](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%8A%D8%AF) [وأبي بكر الشبلي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A8%D9%83%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D9%84%D9%8A) [وأبي يزيد البسطامي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B3%D8%B7%D8%A7%D9%85%D9%8A). كما أنه كان يحضر مجالس الشيخ الفضل بن محمد الفارمذي الصوفي، والذي أخذ عنه [الطريقة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%B1%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9). فتأثر بهم تأثيراً كبيراً، حتى أدّى به الأمر لتركه للتدريس في [المدرسة النظامية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9) في [بغداد](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF)، واعتزاله الناس وسفره لمدة 11 سنة، تنقل خلالها بين [دمشق](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%85%D8%B4%D9%82) [والقدس](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3) [والخليل](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%84) [ومكة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%83%D8%A9) [والمدينة المنورة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%88%D8%B1%D8%A9)، كتب خلالها كتابه المشهور في [التصوف](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81): ([إحياء علوم الدين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A1_%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86))، وكانت نتيجة رحلته الطويلة تلك أن قال: ( وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به أني علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق).